مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم وتنشير البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

العدد السادس السنة الثالثة رجب ١٤٤٠هـ الموافق مارس ٢٠١٩م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص ٢٩]

موضوعات العدد:

- أسلوب المقابلة في سورة الرعد - دراسة تحليلية
  أ.د. أحمد بن محمد الشرقاوي
- دلالة السياق القرآني وأثرها في توجيه معاني الآيات
  من خلال كتاب «التحرير والتنوير» للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)
  أ. أحمد يزيد بازرك الله
- حماية القرآن للوعي الفكري لدى الشباب
  في ظل تحديات وسائل التواصل الحديثة
  الباحث: أ.د. محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي
- دلالات ومقاصد مصطلح الفرج في القرآن الكريم نماذج تطبيقية
  أ. بسمة عبد المجيد مترات
- أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها
  أ.د. الأمير محفوظ محمد أبو عيشة
- تقرير عن رسالة علمية بعنوان:
  مهارات تدبر القرآن الكريم لدى معلمي القرآن
  بالمرحلة المتوسطة ومعوقات استخدامها
  أ. خالد بن حسن السهيمي
- تقرير عن معهد مكون بمعلمات القرآن الكريم «تدبر»
- التقرير عن المؤتمر القرآني الدولي السنوي «مقدس ٨»
  تحت شعار: «إسعاد الإنسان بهدى القرآن»

مجلة تدبر

البحث الأول

أُسْلُوبُ الْمُقَابَلَةِ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ

دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

أ.د. أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّد الشَّرْقَاوِيّ

أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر

وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة.

❁ حصل على درجة **الماجستير** من كلية أصول الدين بجامعة الازهر في-التفسير وعلوم القرآن

بأطروحته: منهج الشيخ سعيدحوى في كتابه الأساس في التفسير(دراسة مقارنة).

❁ حصل على درجة **الدكتوراه** من كلية أصول الدين بجامعة الازهر في-التفسير وعلوم القرآن

بأطروحته: (المرأة في القصص القرآني) دراسة موضوعية مقارنة.

من مؤلفاته:

المرأة في القصص النبوي، الكتب السابقة في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"، القرآن والحضارة، القرآن والكون، القرآن والمرأة، صلاة الاستخارة، الصبر عند فقد الولد، يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر.

❁ **البريد الإلكتروني:** *sharkawe2000@yahoo.com*

مجلة تدبر

مستخلص البحث

أسلوب المقابلة من أروع الأساليب البلاغية؛ إذ به تتجلى المعاني راسخةً في الأذهان، وتَبِينُ الحقائق، مستقرّةً بالجَنان، وبالقرآن الكثير والكثير من المقابلات، بين معنى ومعنى، أوبين قسيمٍ وقسيم، وتارة بين حال وحال، أو بين مصيرٍ ومصيرٍ، وفي هذه المقابلات القرآنية تتجلى البلاغة بأروع صورها، ومن ثَمَّ كان هذا البحث الذي يدور حول دراسة المقابلات دراسة تأصيلية، معنى المقابلة لغة واصطلاحا، وأنواعها، وفوائد دراستها، والفرق بين المقابلة والطباق والتقسيم، مع تطبيق على مقابلات سورة الرعد، بإبراز ما اشتملت عليه من فوائد ولطائف، فلقد تميزت السورة بكثرة مقابلاتها التي استغرقت قرابة ثلث آياتها بنسبة ١٤ آية من ضمن ٤٣ آية، لما لذلك الأسلوب الأخّاذ من تناسبٍ مع مقصود السورة، وهو تقرير الأصول الثلاث التوحيد والرسالة والبعث، ومن هنا قسمت البحث لثلاث مباحث وفقًا لتلك الأصول الثلاث.

كلمات مفتاحية : أسلوب- المقابلة - سورة الرعد.

مجلة تدبر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

۞ أولًا: الاستفتاح:

الحمد لله ولي النعم، أوجدنا من العدم، وعلّمنا بالقلم، نحمده تعالى لما أسدى من الكرم، ونشكره على ما بَسَط من رحمات، وحجبَ من نِقم، ونصلي ونسلم على المبعوث بجوامع الكلم، ولطائف الحِكَم، نبينا محمد سيدِ العُرْبِ والعجَم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أولي البصائر والهِمم، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم يجمع الله الرسلَ، ويدعُو الأمم.

أما بعد:

فالقرآن الكريم رسالة الله الخاتمة، وآياته الخالدة، وحجته الشاهدة على صدق الرسالة، وهو شِرعة أمة الإسلام ومنهاجها، وميزانها وسراجها، وسبيلها إلى الرقي والتمكين، نزل بلسان عربيٍّ مبين، فشهد ببلاغته البلغاء، وأشاد بحكمته الحكماء، وأقرّ بفضله الأعداء.

ولقد لفت نظري أثناء تدبري ورحلة تفسيري لسورة الرعد؛ ما تميزت به من كثرة المقابلات بين الألفاظ والمعاني، وما حوته من فوائد ولطائف؛ حرِصتُ على استخراجها واستنباطها، والاستفادة منها في إبراز جمال أسلوب القرآن، وجلال وكمال ما حواه من معانٍ، فكان اختياري لهذا الموضوع: **"أسلوب المقابلة في سورة الرعد «دراسة تحليلية»"**.

❁ ثانيًا: أهمية الموضوع:

١- لهذا الموضوع أهميته البالغة؛ من جهة تعلقه بالبلاغة القرآنية، ودلالته على إعجاز القرآن الكريم، حيث روعة النَّظْم، وحُسْن السَّبك، وملاءمة الألفاظ وفصاحتها، مع ثراء المعاني ووفائها.

٢- بالنظر والتأمل في الجمل المتقابلة؛ يقف المتدبِّرُ على معانٍ واستنباطات ودقائق، فضلًا عما يلتقطه بالغوص في كتب التفسير من درر الفوائد، ولآلئ اللطائف المتعلقة بالمقابلات.

٣- حاجة مكتبة التفسير وعلوم القرآن لمزيد من البحوث والدراسات في البلاغة القرآنية، تأصيلًا وتطبيقًا.

❁ ثالثًا: أسباب اختياره:

١- حرصي على البحث والكتابة في بلاغة القرآن؛ لتذوق هذا الجمال، والغوص في دقائق المعاني، واستخراج اللطائف، وجمع الفوائد من بطون كتب التفسير.

٢- لفت نظري أثناء تفسيري لسورة الرعد منذ سنتين؛ تلك المقابلات التي حفلت بها السورة، في الألفاظ والمعاني بهذا القدر الملحوظ، فمكثت أتدبر آيات السورة مرارًا وتكرارًا، حتى وقفت على مواضع تلك المقابلات، ووفِّقْتُ -بفضل الله تعالى- إلى لطائف ومعانٍ رأيتها جديرةً بالتقييد. فقد اجتمع في السورة مقابلات في الكلمات وفي الجمل، فنجد مقابلة بين: السموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والجبال والأنهار، والأودية، والجنات والزروع، والنخيل: الصنوان وغير الصنوان، والمتشابه وغير المتشابه، والسيئة والحسنة، والمغفرة، وشدة العقاب، والغيض

والزيادة، والسر والجهر، والاستخفاء والحركة، والبرق والرعد، والخوف والطمع، والحق والباطل، وطوعًا وكرهًا، والغدو والآصال، والنفع والضر، والأعمى والبصير، والظلمات والنور، والماء والنار، والزبد وما يمكث في الأرض من الماء الصافي، والمعادن النقية التي ينتفع بها الناس، والاستجابة وعدمها، والحسنى وسوء العذاب، والعلم والجهل، والبصيرة والعمى، والوفاء والنقض، والصلة والقطع، والإصلاح والإفساد، والبسط والقدر، والحياة الدنيا والآخرة، والإضلال والهداية، والذين آمنوا والذين كفروا، والجنة والنار، والفرح والإنكار، والحُكم والأهواء، والمحو والإثبات. إلى آخر تلك المقابلات التي تزخرُ بها السورة الكريمة، والتي تنمُّ عن التناسق والتنوع في الموجودات والتكامل والتقابل، والتوازن والانسجام الكوني. وتلمس في هذا الجو المشحون بالمقابلات عند تدبر هذه السورة الكريمة، كيف تمتزج الشواهد الحسية، بالحقائق الغيبية، والآيات العلوية بالآيات الأرضية، في صور من التقابل البديع.

۞ رابعًا: أهداف البحث:

١- دراسة الآيات التي اشتملت على مقابلات في سورة الرعد دراسة تفسيرية بلاغية، لاستجلاء لطائفها واستخراج معانيها.

٢- استجلاء ما يكمُن في المقابلات القرآنية التي احتوتها سورة الرعد من صور بلاغية تزخر بها تلك المقابلات، كالتقديم والتأخير والجناس والطباق، واللف والنشر والاحتباك، ورعاية الفاصلة، إلخ.

٣- إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن، يتمثّل في بلاغة أسالبيه، وجمال عباراته، وتناسب ألفاظه، وثراء معانيه.

خامسًا: دراسات سابقة:

١- أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن دراسة أسلوبية. مقدمة لنيل درجة التخصص الماجستير، إعداد الباحث عماري عز الدين، ١٤٣٠، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر. ١٦٠ صفحة.

٢- أسلوب المقابلة في سورة الرحمن وأثره في المعنى، د. زكريا علي خضر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، عدد ١، ١٤٣٢هـ، ٢٠ صفحة من الحجم الكبير، وقد قسمه إلى: المقابلة في الآيات النفسية، والآيات الكونية، والصفات الإلهية، وآيات الآخرة. ويُلاحظ أن الباحث سار في بحثه وفق المفهوم العام للمقابلة، دون تقيد بالمعنى الاصطلاحي.

٣- التقابل في القرآن الكريم (دراسة تحليلية للآيات المتقابلة العناصر)، د. محمد الأمين جابي، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، مركز جمعة الماجد. وهي مقسمة إلى خمسة فصول: **الفصل الأول:** المقابلة، تعاريف وحدود. **الفصل الثاني:** تعاريف المقابلة والإشكاليات المرتبطة بها. **الفصل الثالث:** أنواع التقابل في القرآن الكريم. **الفصل الرابع:** أسلوب القرآن الكريم في التقابل. **الفصل الخامس:** طرق التقابل في القرآن الكريم. **الفصل السادس:** الأطراف المتقابلة في القرآن الكريم. **الفصل السابع:** سياق التقابل في القرآن الكريم. والواضح أنها دراسة تأصيلية، مع إيراد نماذج من القرآن.

٤- أسلوب المقابلة في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية على سورة الرعد وأثر ذلك في المعنى، د. موسى محمود معطان، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية السنة السادسة ع ١٣، ١٤٣٨هـ. ويقع في ٣٦ صفحة. ولعل هذا البحث هو أقرب البحوث لبحثي، وقد عرفت به بعد أن بدأت الكتابة،

ووضعت خطتي، فلما قارنتها بخطته، وجدت اختلافًا كبيرًا في التناول والطرح، ثم إن كتاب الله تعالى معين لا ينضب، ومن ثَمَّ فإنني آمل أن أساهم بدوري في هذا الموضوع، وأن آتي بإضافة جديدة. والبحث مقسّمٌ إلى: ثلاثة مباحث، **الأول:** المقابلة بين الآيات الكونية في السورة، **الثاني:** المقابلة بين الآيات المتعلقة بالأشياء المعنوية، **الثالث:** المقابلة بين الآيات المتعلقة بالنفس وحركات البشر في السورة. أما بحثي، فقد قسمته وفق أغراض السورة الثلاث: تقرير الأصول الثلاثة؛ التوحيد والرسالة والبعث، كما أن الباحث الكريم يدرس المقابلة بمفهوم أوسع يشمل الطباق، فيذكر المقابلة بين الألفاظ، فضلًا عن المعاني، فيتعامل مع مصطلح المقابلة بمفهومه اللغوي الواسع، وليس بالمفهوم الاصطلاحي المحدد. أما بحثي فقد أصَّلتُ فيه -أولًا- معنى المقابلة، والفرق بينها وبين الطباق والتقسيم، ومن ثَمَّ اقتصرت على المقابلات في آيات سورة الرعد.

٥- **التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية**، د. علي زيتونة مسعود. وقد جعلها في فصلين، الأول دراسة نظرية لأسلوب التقابل بين القدامى والمحدثين، الثاني دراسة أسلوبية تطبيقية على الربع الأخير من القرآن، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر. ١٤٣٨هـ. ٢٤٥ صفحة، وفيها تحدث عن بلاغة التقابل وأبعاده في القرآن، والتقابل في الأمثال والقصص القرآني، والتقابل وألوان البديع في القرآن.

۞ **سادسًا: خطة البحث:** ويشتمل على مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة: وفيها الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه.

الفصل الأول: الدراسة النظرية لأسلوب المقابلة،

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المقابلة، والفرق بينها وبين الطباق.

المطلب الأول: تعريف المقابلة.

المطلب الثاني: الفرق بينها وبين الطباق.

المبحث الثاني: فوائد المقابلات في القرآن.

المبحث الثالث: أنواع المقابلات في القرآن.

المطلب الأول: من حيث العلاقة بين المعاني المتقابلة.

المطلب الثاني: من حيث مقتضى الظاهر وخلافه.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية لأسلوب المقابلة في سورة الرعد،

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقابلات المتعلقة بالتوحيد.

المبحث الثاني: المقابلات المتعلقة بالرسالة.

المبحث الثالث: المقابلات المتعلقة بالبعث والجزاء.

ثم الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته.

سابعًا: منهج البحث:

١ - المنهج العام لهذا البحث: هو المنهج التحليلي القائم على جمع الآيات التي اشتملت على مقابلات، مع تدبُّرها، والوقوف على النكات البلاغية من خلال التدبر، والنظر في السياق، والرجوع لكتب التفسير.

٢- **وفقًا لهذا المنهج**: تم تقسيم البحث حسب موضوعات السورة الرئيسة الثلاثة: التوحيد والرسالة والبعث، وإن كانت الآيات قد عالجت موضوعات أخرى، لكنني جعلت هذه الأقسام الثلاثة هي الأساس.

٣- **أما عن إجراءات البحث**: فقد اتبعت فيه المنهج العلمي للكتابة والتوثيق، وذلك بنسخ الآيات القرآنية، وكتابة اسم السورة ورقم الآية، وتخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها-ما أمكن- إن كانت في غير الصحيحين، وتوثيق النقول، مع تمييزها بوضعها بين علامتي تنصيص " "، والتعليق على ما يحتاج لتعليق، وتخريج الأبيات الشعرية، وترجمة الأعلام من غير المشاهير، وبيان الألفاظ الغامضة، وضبط ما يحتاج لضبط، إلى غير ذلك مما هو متَّبع في البحوث والرسائل العلمية، مع سلوك منهج الاعتدال في ذلك.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الفصل الأول

الدراسة النظرية لأسلوب المقابلة

۞ المبحث الأول: تعريف المقابلة، والفرق بينها وبين الطباق:

المطلب الأول: تعريف المقابلة:

❍ **أولًا: المقابلة لغة:** مصدر على وزن مفاعلة من قابل، يقابل، مقابلة: والمقابلة والتقابل: بمعنى المواجهة. (١)

وفي لسان العرب: والمُقابَلة: المُواجهة، والتقابُل مثله، وهو قِبالُك وقُبالَتُك أَي تُجاهك، ومُقابَلة الكتاب بالكتاب: مُعارَضته، وتَقابل القومُ: استقبل بعضهم بعضاً. (٢)

❍ **ثانيًا: المقابلة اصطلاحًا:**

١- عرفها الزركشي في البرهان، فقال: "حقيقتها: ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها". (٣)

٢- وعرفها السيوطي في الإتقان، فقال: "... ومنه نوع يسمى المقابلة، وهي أن يذكر لفظان فأكثر، ثم أضدادها على الترتيب". (٤)

٣- وقال السكاكي (٥): "المقابلة: أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما، ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده". (٦)

---

(١) يراجع: الصحاح للجوهري (٦ / ٧٥).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٥٣٤).

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (٣ / ٤٥٨).

(٤) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (٣ / ٣٢٧).

(٥) السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي. عالم بالعربية والأدب ت (٦٢٦ هـ). تراجع ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ (٥/ ١٢٢).

(٦) مفتاح العلوم، للسكاكي (١/ ١٨٤).

٤- وعرفها ابن حجة الحموي [١] بأنها: "التنظير بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق".[٢]

وأرى أن المقابلة ليست بين لفظة ولفظة، أو لفظين متضادين أو متناظرين؛ فهذا أقرب للطباق منه للمقابلة التي تقع بين معنيين، بأن يأتي بمعنى ثم يذكر ما يقابله. وإنما يُقابل معنى بمعنى، بينهما تناظر أو تضاد. وعليه فالمقابلة: أن يأتي بمعنيين بينهما تناظرٌ أو تضادٌّ فيقرن بينهما.

والغرض منها تجليةُ المعنيين بتقابلهما، وتقريرُهما باقترانهما.

المطلب الثاني: الفرق بينها وبين الطباق:

☜ **أولًا: تعريف الطباق لغة واصطلاحًا:**

١- الطباق لغةً: الموافقة. والتطابق: الاتفاق. وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد.[٣] قال ابن منظور: "وقد طابَقَهُ مطابَقةً وطِباقًا وتَطابَقَ الشيئَان تساوَيا والمُطابَقةُ المُوافَقة والتَّطابُق الاتفاق وطابَقْتُ بين الشيئين إِذا جعلتهما على حَذْو واحد وأَلزقتهما".[٤] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]. أي: بعضها فوق بعض.

٢- الطباقُ في الاصطلاح: الجمع بين المتضادين، أي: لفظين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد اسمين، كقوله تعالى:

---

(١) أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي، تقي الدين ابن حجة: (٨٣٧ هـ) إمام أهل الأدب في عصره. وكان شاعرًا جيد الانشاء. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (١/ ١٦٤). الأعلام للزركلي (٢ / ٦٧).

(٢) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي (١ / ١٢٩).

(٣) الصحاح للجوهري (٥ / ١٩٨).

(٤) لسان العرب (١٠/ ٢٠٩)

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: ١٨]، أو فعلين، كقوله تعالى: ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وبعضهم لا يفرق بين المقابلة والطباق، كما فعل الميداني[١] حيث قال في تعريفه للطباق: "هو الْجَمْعُ في العبارة الواحدة بين معنَيْينِ متقابلين، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، ولو إيهامًا، ولا يشترط كون اللّفظين الدَّالَّيْن عليهما من نَوْع واحدٍ، كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط[٢].

ثانيًا: الفرق بين المقابلة والطباق:

فرَّق علماء البلاغة بين الطباق وبين المقابلة، لكن بعضهم أدخل الطباق في المقابلة، وآخرون جعلوا المقابلة من أنواع الطباق، قال القزويني[٣]: ودخل في المطابقة ما يُخَصُّ باسم المقابلة، بينما يرى ابن حجة الحموي أن المقابلة أعم من المطابقة...[٤]

لكن المتأمل في الأمثلة التي ساقها ابن المعتز[٥] في كتابه، لا يجد فرقًا بين المطابقة والمقابلة.[٦]

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني من علماء سوريا، له مؤلفات كثيرة منها قواعد التدبر، أجنحة المكر الثلاث، وكتب في البلاغة العربية، العقيدة الإسلامية، الحضارة، وغيرها توفي ودفن في دمشق عام ١٤٢٥هـ. تراجع ترجمته في كتاب عبد الرحمن حبنكه الميداني، زوجي كما عرفته، عائشة راغب الجراح.

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن الميداني (١ / ٧٥٢).

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق. ت ٧٣٩هـ. طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٩/ ١٥٨). ويراجع الإيضاح لجلال الدين القزويني (٣٩٦).

(٤) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي (١ / ١٢٩).

(٥) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، الأديب (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ). سير أعلام النبلاء تحقيق الأرنؤوط (١٤/ ٤٢).

(٦) البديع، لابن المعتز، ص ٣٦ وما بعدها.

وفرّق الزركشيُّ في البرهان بين الطباق والمقابلة، فقال: "والفرق بينهما من وجهين: **الأول**: أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبًا، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالبًا. **والثاني**: لا يكون الطباق إلا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وغيرها، ولهذا جعل ابنُ الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة".[١]

ونحو ذلك ما ذكره الكفوي[٢] مفرقًا بينهما بقوله: "والمطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين، والمقابلة تكون غالبًا بين أربعة أضداد، ضدان في صدر الكلام، وضدان في عجزه، نحو: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾. وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد، وقد تكون المطابقة بالأضداد وبغيرها، لكن الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعًا، ولا تكون المقابلة إلا بالأضداد.[٣]

ويرى ابن رشيق القيرواني[٤] في العمدة: أن المقابلة: بين التقسيم والطباق، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولًا، وآخره ما يليق به آخرًا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه.[٥]

ويردُّ ابن حجة الحموي على من أدخل المقابلة في المطابقة: أن المقابلة أعم من المطابقة، وهي التنظير بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق، فبقولنا وما يوافق: صارت المقابلة أعمَّ من المطابقة، فإن التنظير بين ما

(١) البرهان في علوم القرآن (٣ / ٤٥٥).

(٢) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى استانبول فتوفي بها، (ت ١٠٩٤ ه). الأعلام للزركلي - (٢ / ٣٨). ويراجع إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي ٢/ ٣٨٠.

(٣) الكليات، لأبي البقاء الكفوي (١ / ١٣٦١).

(٤) الحسن بن رشيق القيرواني، أديب شاعر (ت ٤٦٣ هـ).

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني (١ / ١١٥).

يوافق ليس بمطابقة..."، إلى أن يقول: "وقد تكون المقابلة بغير الأضداد، والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين: **أحدهما**: أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين، والمقابلة تكون غالبًا بجمع بين أربعة أضداد، ضدان في صدر الكلام، وضدان في عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد، خمسة في الصدر، وخمسة في العجز، **والثاني**: أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وغير الأضداد، ولكن بالأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعًا. (١)

وفرَّق أبو حيان الأندلسي بينهما: بـ"أن المقابلة تكون بين معنيين أو أكثر متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، أما الطباق فيكون بين لفظين. (٢).

والذي أراه أن المقابلة تكون بين معنيين، أما الطباق فإنه يقع بين لفظين، والمقابلة بالضد والنقيض والمخالف والنظير، أما الطباق فإنها لا تقع بالنظير.

ثالثًا: الفرق بين المقابلة والتقسيم:

المقابلة تكون بين معنيين بينهما تقابل، كالضدين والنظيرين، أما التقسيم فإنه تفصيل بعد إجمال، بذكر قسيمين أو أكثر، ينضويان تحت أصل جامع: مثاله قوله: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥١]؛ لأنه سبحانه إما أن يفرد العبد: بهبة الإناث أو بهبة الذكور، أو يجمعهما له، أو لا يهبه شيئًا. (٣)

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (١ / ١٢٩).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان(٥/ ١٩٨).

(٣) يراجع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١/ ٢٣).

فبدأ بالتعميم قبل التقسيم، ثم قدم الهبة على الحرمان، وقدم الإناث على الذكور، ردًّا على ما شاع في الجاهلية من كراهية الإناث والتشاؤم منهن، فأكَّد كونهن هبة من الله كما الذكر، هبة تستوجب الفرح والاستبشار، والشكر للواهب جل وعلا.

كما يلاحظ في الآية التالية بلاغة التقسيم في صور الوحي الإلهي، أو كلام الله للنبي ﷺ عن طريق: الوحي المباشر، أو الكلام من وراء حجاب، أو بواسطة الرسول الملَك.

وفي السنة أحاديث كثيرة تتجلَّى فيها بلاغة التقسيم، من ذلك ما في الصحيح: عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي** -قَالَ-: **وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**». وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا؛ هَلْ تُنْظَرُونَ إِلاَّ إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**»[1].

(١) سنن الترمذي (٤ / ١٢٨)، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُبَادَرَةِ بِالعَمَلِ، ح ٢٣٠٦، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ؛ ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣ / ١٤٧)، ح١٠٠٨٨.

۞ المبحث الثاني: فوائد المقابلات في القرآن:

◈ أولًا: جمال الأسلوب وتأثيره في النفوس:

التقابل بين المعاني من مظاهر الجمال في الكلام، فاجتماع المتقابلات واتساقها في نظمٍ واحد من روائع البيان، كما أن اجتماع السواد مع البياض في مشهدٍ واحد، سيَّما في الحسان من النساء، شدة سواد الشعر مع بياض الوجه، أو صورة البدر المنير في سواد الليل، أو اقتران خضرة الزرع مع زُرقة الماء الذي يعكس لون السماء، مع مشهد التلال برمالها الصفراء، صورة من أفانين الجمال، التي تثير الوجدان، وتؤثر النفوس. "فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها، والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكًا وإيلاعًا بالانفعال إلى مقتضى الكلام، لأن تناظر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعًا من سنوح ذلك لها في شيء واحد. وكذلك حال القبح، وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشد تحريكًا لها. وكذلك أيضًا مثول الحسن إزاء القبيح، أو القبيح إزاء الحسن؛ مما يزيد غبطة بالواحد وتخلِّيًا عن الآخر، لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده. فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبًا".[1]

ونظير هذا قول علي بن جبلة:

فَالوَجهُ مثل الصُبحِ مبيضٌّ ... والشعرُ مِثل اللَيلِ مُسوَدُّ
ضِدّانِ لِما اسْتُجْمِعا حَسُنًا ... وَالضِدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ

ومن روائع المقابلات: ما روي أن المنصور سأل أبا دلامة عن أشعر بيت في المقابلة فأنشده:

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤)، ص: ٤٥.

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

فالشاعر قابل بين أحسن وأقبح، وبين الدين والكفر، والدنيا والإفلاس.[١]

قال ابن الأثير[٢] في المثل السائر: "واعلم أن في تقابل المعاني بابًا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل وزيادة نظر[٣].

◈ **ثانيًا: الوضوح والبيان:** والمقابلةُ في الكلام من أَسباب جلاء ألفاظه، وإبراز معانيه، كما قال المتنبي:

ونَذيمُهُمْ وبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وبِضِدّها تَتَبَيّنُ الأشْياءُ[٤]

قال ابن قتيبة: "وكلّ الأشياء تعرف بأضدادها، فلولا الشمس ما عُرِفَ الظلُّ، ولولا النور ما عرفت الظلمة، ولولا الحق ما عُرِفَ الباطل. وهكذا سائر الألوان والطّعوم، فضلا عن المعاني، قال اللّه ﷻ: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩]. يريد به ضدين: ذكرًا وأنثى، وأسود وأبيض، وحلوًا وحامضًا، وأشباه ذلك.

◈ **ثالثًا: الدقة والعمق في توضيح المعاني وتقريرها:** فإن المتأمل في مقابلات القرآن، يدرك ما تحمله من معانٍ واسعةٍ متشعبة، ولطائف دقيقة، لا يدركها إلا المتبحرون في العلم والمتعمقون في التدبر والفهم، فالقرآن الكريم مع وضوح معانيه وسهولة تراكيبه، إلا أنه يحوي من دقائق المعاني ولطائف

(١) خزانة الأدب (١ / ١٣١).

(٢) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب: وزير، من العلماء الكتاب. (٥٥٨ - ٦٣٧ هـ). الأعلام للزركلي - (٨ / ٣١). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/ ٤٨٩).

(٣) المثل السائر لابن الأثير (٢ / ٢٨٤). والبرهان في علوم القرآن (٣ / ٤٦٢).

(٤) ديوان المتنبي (١/ ٢٢).

المقاصد ما لا يدركه ولا يتذوقه إلا أصحاب النظر والفهم لكلام الله. قال ابن قتيبة: "وكل باب من أبواب العلم: من الفقه والحساب والفرائض والنحو، فمنه ما يجلّ، ومنه ما يدقّ، ليرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه ولتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستخراج، ولتقع المثوبة من اللّه على حسن العناية. ولو كان كل فن من العلوم شيئًا واحدًا لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خفيّ ولا جليّ، لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها، فالخير يعرف بالشر، والنفع بالضرّ، والحلو بالمر، والقليل بالكثير، والصغير بالكبير، والباطن بالظاهر. (١)

أشار الرازي لتلك الدقائق بقوله: "...لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط". (٢) ولا شك أن النظر في المتقابلات مما يبرز أوجه التناسب بين المعاني، ويجلي من لطائف القرآن ما يبهر العقول، ويثير الأذهان.

وقال صاحب المنار: "ومن دقائق بلاغة القرآن المعجزة، تجرى الحقائق بأوجز العبارات، وأجمعها لمحاسن الكلام مع مخالفته بعضها في بادئ الرأي لما هو الأصل في التعبير، كالمقابلة هنا بين الضر والخير، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧]، وإنما مقابل الضر النفع، ومقابل الخير الشر، فنكتة المقابلة أن الضر من اللّه ليس شرًّا في الحقيقة، بل هو تربية واختبار للعبد؛ يستفيد به من هو أهل للاستفادة أخلاقًا وأدبًا وعلمًا وخبرة، وقد بدأ بذكر الضر لأن كشفه مقدم على نيل مقابله، كما أن صرف العذاب في الآخرة مقدم على النعيم" (٣).

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٥٨).

(٢) تفسير الرازي (١ / ١٤٧٣).

(٣) تفسير المنار (٧/ ٣٣٥).

۞ المبحث الثالث: أنواع المقابلات في القرآن:

المطلب الأول: من حيث العلاقة بين المعاني المتقابلة:

والتقابل بين المعاني له وجوه، منها ما يلي:

١ - **تقابل التناقض**: وهو ما يلزم من وجود أحدهما نفي الآخر، مع عدم انتفائهما معًا، كالوجود والعدم، والإيجاب والسلب، واليقظة والرقاد.

٢ - **تقابل التضاد**: ما يلزم من وجود أحدهما وجود الآخر، وقد يرتفعان، كالأسود والأبيض.

قال أبو البقاء الكفوي: "والتنافي عند أهل الحكمة أربعة أقسام: التضاد والتضايف والعدم والملكة والتناقض، وعند المتكلمين قسمان: التضاد والتناقض؛ فإن المتنافيين إن جاز انتفاؤهما فهما الضدان وإلا فالنقيضان، والتضايف والعدم والملكة من قبيل التضاد عندهم، والتضاد هو تمانع العرضين لذاتهما في محل واحد من جهة واحدة، وشبه التضاد هو أن يتصف أحد الأمرين بأحد الضدين، والآخر بالآخر؛ كالأسود والأبيض، والسماء والأرض، والأعمى والبصير، والموجود والمعدوم".[(١)]

٣- **تقابل التضايف**: كالأب والابن، والخالق والمخلوق. "والتضايف كون الشيئين بحيث يكون تعلق كل واحد منهما سببًا بتعلق الآخر به؛ كالأبوة والبنوة، وكون تصور كل واحد من الأمرين موقوفًا على تصور الآخر".[(٢)]

٤ - **التناظر**، كالمقابلة بين الشمس والقمر.

---

(١) الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١ / ٤٧٨).

(٢) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، (١ / ٢١٣).

٥- **التخالف:** كالمقابلة بين الشر والرشد، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فإنهما خلافان لا نقيضان، فإن نقيض الشر الخير، والرشد الغي.

٦- **التماثل:** مقابلة الشيء بما يماثله، ويعرف بالمشاكلة، ومثاله قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ولا يعد هذا من باب المقابلة، إذ المقابلة تكون بين أمرين متضادين، أو متناقضين، أو متناظرين.

المطلب الثاني: من حيث مقتضى الظاهر وخلافه:

وينقسم لقسمين:

➢ **الأول: مقابلة على ظاهرها:**

كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]. قابل الضحك بالبكاء والقليل بالكثير، ونحو قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قابل الأمر بالنهي، والمعروف بالمنكر، و"ويحل" بـ"ويحرِّم"، و"لهم" ب"عليهم"، و"الطيبات" ب "الخبائث".

➢ **الثاني: مقابلة على خلاف مقتضى الظاهر:**

وتأتي مخالفة لمقتضى الظاهر؛ وذلك لنكتة بلاغية، وفائدة معنوية، كمقابلة الكلمة بما يخالفها وإن لم يكن باللفظ المضاد لها، أو مقابلة الاسم بالفعل، والعكس، أو مقابلة الفعل المضارع بالماضي، وعكسه، والتقديم والتأخير، والحذف والذِّكر، والإضمار والإظهار، والإفراد والجمع، وغير ذلك، كما سيأتي في دراستي لآيات سورة الرعد. وما من مقابلة قرآنية جاءت على خلاف مقتضى الظاهر إلا لحكم بالغة ولطائف عجيبة، وأغلب مقابلات القرآن على خلاف مقتضى الظاهر.

ومن الأمثلة على المقابلات التي جاءت على خلاف مقتضى الظاهر:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

فقابل بين أعطى وبخل، مقابلة على خلاف مقتضى الظاهر، فالعطاء يقابله المنع، والبخل يقابله السخاء، فدل العطاء على السخاء، ودلَّ البخل على المنع، كما قابل بين اتقى واستغنى، على خلاف مقتضى الظاهر، أما المقابلة بين صدَّق وكذَّب، واليسرى والعسرى: فإنها على ظاهرها.

ومن المقابلات الشعرية التي جمعت بين مراعاة الظاهر وخلافه قول المتنبِّي:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشفَعُ لي ... وَأَنثَني وَبَيَاضُ الصّبحِ يُغري بي [1]

حيث قابل بين أزور وأنثني، وبين بياض وسواد، وبين الليل والصبح، وبين يشفع ويغري.

ومقابلة الليل بالصبح دون النهار لشدة بياض الصبح، ولأنه ينصرف عن محبوبه عند بياض الصبح وهو أول النهار. ومن المقابلات البليغة:

على رأسِ عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ ... وفي رِجْلِ حرٍّ قيدُ ذُلٍّ يَشينهُ [2]

وقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]. الرحمة ليست ضدًّا للشدة، وإنما ضد الشدة اللين، إلا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين؛ حسنت المقابلة بينها وبين الشدة.

(١) ديوان المتنبي ١/ ١٦٦.

(٢) منسوب لشرف الدين الأربلي كما في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، أبو الفتح العباسي (ت: ٩٦٣هـ) ٢/ ٢١٠.

وقولـه تعالـى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. فقولـه يهـدى ويضـل من بـاب الطباق اللفظـي، وقولـه: ﴿ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ ﴾ مـع قولـه: ﴿ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ مـن الطباق المعنوي، لأن المعني بقوله يشـرح: يوسعه بالإيمان، ويفسحه بالنور، حتـى يطابـق قولـه: ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾، وهكذا قولـه تعالـى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾ [الليل: ٥- ١٠] فقوله: كذَّب وصدَّق، وقوله: اليسـرى والعسرى من باب الطباق اللفظـي، وقوله: أعطى، مع قوله: بخل، من الطبـاق المعنوي، لأن المعنى في أعطـى: كـرم، ليطابق بخـل في معناه دون لفظه. وقولـه تعالى: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ ﴾ [التوبـة: ٥٠] فالمصيبـة مخالفة للحسـنة من غير مُضادَّة، إلا أن المصيبة لا تقارب الحسـنة، وإنما تقارب السـيئة، لأن كل مصيبة سـيئة، وليس كل سـيئة مصيبـة، فالتقارب بينهما مـن جهة العموم والخصوص، وهكـذا قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الفتح: ٢٩] فإن الرحمة ليسـت ضدًّا للشدة، وإنما ضد الشدة اللين، خلا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين، حسنت المطابقة بينهما، وكانت المقابلة لائقة. (١)

(١) يراجع: الطراز لأسرار البلاغة وحقائق علوم الإعجاز (٢ / ٣٦).

الفصل الثاني

الدراسة التطبيقية

لأسلوب المقابلة في سورة الرعد

❁ تمهيد: بين يدي السورة:

○ أولًا: نزول السورة:

الواضح من أسلوب السورة الكريمة وما تضمنته أنها مكية، إذ الحديث فيها يدور حول أصول العقيدة الثلاثة: التوحيد والبعث والرسالة، دون تطرق لفروع الأحكام، ولا ذكر لموضوعات السور المدنية، كالحديث عن القتال والمنافقين والغزوات وغيرها، كما أن جوَّها العام يشير إلى نزولها تسلية وتسرية وتثبيتًا لفؤاد نبينا ﷺ، شأن السور المكية، قال السيوطي عنها: سورة الرعد، تَقدَّم من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن علي بن أبي طلحة، أنها مكية، وفي بقية الآثار أنها مدنية، وأخرج أبو الشيخ مثله عن قتادة، وأخرج الأول عن سعيد بن جبير. وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] أهو عبد الله بن سلام رضي الله عنه؟ فقال: كيف؟ وهذه السورة مكية! (١)

قلت: وما المانع من أن يراد به من آمن من أهل الكتاب في العهد المكي، عهد نزول السورة، أمثال ورقة بن نوفل، والنجاشي، ومن آمن معه من القساوسة شاهدًا بصدق القرآن؟ والذي أراه أن السورة كلها مكية، وما

(١) سنن سعيد بن منصور (٥ / ٤٤٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور عن سعيد بن جبير، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه. الدر المنثور في التفسير بالمأثور(٤/ ٥٩٩). والإتقان (١/ ٤٨) وجامع البيان، للطبري (١٦ / ٥٠٦)، والناسخ والمنسوخ للنحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، (١ / ٥٣٦).

ورد فيها من حديث عن أهل الكتاب شأن بعض السور المكية، مع كون رسول الله ﷺ لم يتحاور معهم إلا في المدينة المنورة، إلا أنها تمهيد وإعداد لتلك المرحلة، كما أنه مضى في المرحلة المكية موقف بعض أهل الكتاب من القرآن، كورقة بن نوفل والنجاشي.

❍ ثانيًا: محور السورة وموضوعاتها الرئيسة:

تدور السورة الكريمة حول ثلاثة موضوعات رئيسة: موضوع التوحيد، وموضوع الرسالة، وموضوع البعث، من خلال بيان الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وشواهد عظمته، وإحاطة علمه، والرسالة من خلال تقرير نبوة محمد ﷺ، والحديث عن معجزته الكبرى، وكذلك بيان الأدلة على البعث، وانقسام الناس إلى فريقين، ومصير كل فريق. والسورة الكريمة تعرض لأقوال الكفار، وتردُّ عليهم، من ذلك إنكارهم البعث، واستبعادهم له، وطلبهم الآيات، وتكذيبهم بالرسالة، واستعجالهم العذاب، ومن المحاور الرئيسة للسورة: إثبات كون القرآن هو الحق من عند الله، قال البقاعي: "مقصودها وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه". (١)

۞ المبحث الأول: المقابلات المتعلقة بالتوحيد:

◈ أولًا: المقابلة بين عظم مغفرة الله تعالى، وشديد عقابه:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

المقابلة هنا بين ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾، وبين ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، قابل في هذه الآية بين المغفرة والعقوبة، بين كونه تعالى يغفر للعباد، وبين كونه -في ذات الوقت- شديد العقاب.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٤ / ١١٧).

وتقديم المغفرة على العقوبة، تعجيل بالبشرى، ولكون مغفرته تعالى سبقت عقوبته، كما في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**». (١)

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

قال الشنقيطي: "بيَّن جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه شديد العقاب، فجمع بين الوعد والوعيد، ليعظُم رجاء الناس في فضله، ويشتد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد؛ لأن مطامع العقلاء محصورةٌ في جلب النفع ودفع الضر، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة". (٢)

ومجيء الجملتين مؤكدتين بإن واسمية الجملة، لتقرير هذا المعنى في الأذهان، وترسيخه في القلوب، وتثبيته في النفوس.

وفي تكرار ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: تأكيد، وفي إعادة اسم الربوبية مضافًا لضمير المخاطب: تكريم، ومزيد لطف بنبينا ﷺ، واحتفاءٌ به، وإقبالٌ عليه، وفرط اعتناء به، وتسلية لفؤاده، وزيادة تثبيت له.

وآثر التعبير بـ"على"؛ ليبين غلبة المغفرة لظلم الناس، وكأنه من باب: «**سبقت رحمتي غضبي**». (٣)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ح ٦٩٨٦ (٦/ ٢٧٠٠)، وصحيح مسلم، التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٧) ح ١٤ - (٢٧٥١).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢ / ٢٢٣).

(٣) الأصلان في علوم القرآن (٢٧٣)، د عبد المنعم القيعي. والحديث سبق تخريجه ص ٤٢.

فإذا كان الأمر متعلِّقًا بالكفار الذين يستعجلون العذاب؛ فإن مغفرة الله تعالى لهم عدم تعجيل العقوبة، إمهالًا لهم لعلهم يتوبون، وإذا كان الأمر متعلقًا بمغفرة الله للعصاة الموحدين، فهذا دليل على أنه تعالى إن شاء غفر لمرتكب الكبيرة الذي لم يتب.

والمغزى من هذه المقابلة: أن يجمع المؤمن بين مقامي الخوف والرجاء، فيطير بجناحين، جناح الرهبة وجناح الرغبة، جناحي الخوف والرجاء. وأن يعلم من يستعجل العذاب، أن لو يشاء الله لأخذ المذنبين بظلمهم، ولكنه تعالى يمهلهم لعلهم يرجعون، فإن عاقبهم فعقابه شديد، ولنا في ما خلا من العقوبات العبرة. وفيها بيان لقدرة الله تعالى وإرادته الغالبة.

◈ ثانيًا: المقابلة بين دعوة الحق ودعوة الباطل:

قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعد: ١٤].

المقابلة هنا بين ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾، وبين ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾.

بيَّن تعالى أن دعوة الحق له وحده، بينما دعوة غيره هي الباطل، "فهو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرهبة، والإنابة؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة"(١).

ولم تأت المقابلة هنا على ظاهرها، بل اشتملت على تشبيه بليغ، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾، حيث لم يقتصر على المقابلة الظاهرة {له دعوة الحق} {ولهم دعوة الباطل}، بل بيَّن

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (١ / ٤١٥).

بطلانها بضرب المثل إمعانًا في تقرير المعنى وتأكيدًا له. فشبه "حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء أصلًا، وفساد رأيهم في ذلك، بحال عطشان هائم، قد بسط كفَّيه من بعيد إلى الماء؛ يبغِي وصولَه إلى فيه، وذلك لا يحصل أبدًا." (١)

وضرب الماء مثلًا ليأسهم من الإجابة لدعائهم، على عادة العرب في ضرب المثل لمن سعى فيما لا يدركه، بالقابض على الماء باليد، لا يظفر بشيء: قال الشاعر:

فأصبحت فيما كان بيني وبينها من الودِّ مثل القابض الماء باليد" (٢)

والمعنى: لله وحده الدعاء المستجاب، فمن دعاه فقد أصاب الحقّ، والذين يدعون من دونه من أصنام وغيرها لا يستجيبون لمن دعاهم بشيء، ولو يسير أو حقير، إلا كباسط كفَّيه للماء مغترفًا منه، فلا يخرج منه بشيء، يصلُ إلى فمه، فدعوة الكفار باطلة لا جدوى لها، ولا تصل لهدفها، فجاء المثل مقرِّرًا للمعنى المقصود بصورة حسيةٍ ملموسة.

وفي الآية احتباك؛ حيث ذكر في الأولى ما لم يذكره في الأخرى، والعكس، فقوله: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾، تدلُّ على أن لآلهتهم المزعومة دعوة الباطل، كما جاء في آخر المقابلة ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾، ولما ذكر في المقابلة الثانية أن دعوة الباطل لا تنفعهم، شأن من يغترف من الماء وقد بسط كفيه دون جدوى، دل هذا على أن دعوة الحق نافعة مستجابة، قد أصابت هدفها. ودل قوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ على أن دعوة الحق دعوة الهدى.

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥ / ١١). بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٩ / ٣٠٠)، هو ذو الرمة، والبيت من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى. ويراجع: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٢٧).

◈ ثالثًا: المقابلة بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

المقابلة هنا بين ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾، وبين ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

ضرب الله المثل للحق والباطل: الحق في ثباته وغلبته، والباطل في انتفاشه وزواله، والباطل -وإن علا في بعض الأحوال- فإنه يضمحل ويذهب، كاضمحلال الزبد بعد رغوته على صفحة الماء، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ يقال: أجفأتْ القدر، إذا غَلَت حتى ينصبَّ زبدها، والجفاء ما أجفاه الوادي، أي: رمى به[(١)].

قال الزجاج: فمَثَل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان: كمَثَل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمَثَل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر، لأنها كلها تبقى مُنتفَعًا بها، ومَثَل الكافر وكفره كمَثَل الزبد الذي يذهب جفاء، وكمَثَل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به[(٢)]. فضرب الله مثلاً للحق وبقائه، والباطل وزواله، بماء أنزله من السماء فجرت به الأودية بقدر اتساعها واستيعابها للماء، فاحتمل السيل في طريقه ما يمر به حتى علا الزبد، وهو تلك الرغوة التي تطفو على سطح الماء وارتفع، ونظير هذا ما يوقدون عليه في النار طلبًا للحلي والزينة؛ من ذهب أو فضة، أو للمنافع كالنحاس والحديد وغيرهما، فتطفو الشوائب على الوجه،

(١) نفس المرجع (٩ / ٣٠٥).

(٢) فتح القدير (٣ / ١٠٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣ / ١٤٥).

ويستقر المعدن في القاع، فأما الشوائب فتذهب لا قيمة لها ولا اعتداد بها، وأما الذي ينفع الناس من الماء أو الذهب والفضة فيستقر ويبقى، "والباطل وإن كان له بريقه ولمعته، وظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه، فإن الله سبحانه سيمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، كالزبد الذي يعلو الماء فيلقيه الماء ويضمحل، وكخبث هذه الأجسام، فإنه وإن علا عليها فإن النار تقذفه وتدفعه، فهذا مثل الباطل، وأما الماء الذي ينفع الناس وينبت المراعي والحقول فيمكث في الأرض، وكذلك الصفو من المعادن، فإنه يبقى خالصًا لا شوب فيه، وهو مثل الحق". (١) ومع أنه قدم الحق على الباطل في البدء ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ -باعتباره هو الأحق بالتقديم- إلا أنه بدأ بمثال الباطل لتلاشيه واندثاره مهما علا وانتفش، ومهما أرغى وأزبد، وأخَّر مثال الحق لأنه الذي يبقى، بعد أن يزول الباطل.

وقابل الزبد بما ينفع الناس، مما يدل على أن الزبد لا نفع فيه.

وقابل بين يذهب ويمكث، والذهاب التلاشي والاضمحلال بخلاف المكث، فهو القرار والثبات.

والتعبير بالاسم الموصول وصلته ﴿مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾، لبيان العموم؛ إذ يشمل كل ما ينفع الناس من الماء الزلال والمعادن النقية من الشوائب.

◈ **رابعًا: بيان قيومية الله تعالى على كل نفس، ونفي ذلك عن آلهتهم المزعومة:**

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

(١) فتح القدير للشوكاني، (٣ / ١٠٧). بتصرف.

تقدير المقابلة هنا ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ كمن ليس كذلك، فحذف إحدى طرفيها؛ لدلالة الآخر عليها، والمعنى: أفمن كان بهذه الصفة كمن سلبها من معبوداتكم التي لا تنفع ولا تضر. كذلك حذفت لأن آلهتهم لا تستحق مجرد الذكر في هذا المقام..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا استفهام تقرير يتضمن إقامة الحجة عليهم، ونفي كل معبود مع الله، الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت بعلمه وقدرته، وجزائه في الدنيا والآخرة، فهو رقيب عليها، حافظ لأعمالها، مُجازٍ لها بما كسبت من خير وشر. فإذا جعلتم أولئك شركاء فسموهم إذًا بالأسماء التي يُسمَّى بها القائم على كل نفس بما كسبت، فإنه سبحانه يُسمَّى بالحي القيوم، المحيي المميت، السميع البصير، الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، ووجود كل شيء به. فهل تستحق آلهتُكم اسمًا من تلك الأسماء؟ فإن كانت آلهة حقًّا فسموها باسم من هذه الأسماء، وذلك بُهْت بيِّن؛ فإذا انتفى عنها ذلك علم بطلانها كما علم بطلان مسماها. وأما إن سموها بأسمائها الصادقة عليها كالحجارة، وغيرها من مسمى الجمادات، وأسماء الحيوان التي عبدوها من دون الله، كالبقر وغيرها، وبأسماء الشياطين الذين أشركوهم مع الله -جل وعلا-، وبأسماء الكواكب المسخرات تحت أوامر الرب، والأسماء الشاملة لجميعها أسماء المخلوقات المحتاجات، المدبرات، المقهورات، وكذلك بنو آدم عبادة بعضهم بعضًا، فهذه أسماؤها الحق..." [1].

ومن بلاغة المقابلة هنا: حذف الجملة الثانية لدلالة السياق عليها، ويسمى في البلاغة: الاكتفاء، وهو أن يذكر الشيء دون ذكر مقابِلِه اكتفاء بدلالة ما ذكر على ما لم يذكر. [2]

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ١٩٧).

(٢) يراجع: علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ص: ١٧٥).

كذلك في الحذف مزيد استهجان وتحقير لتلك الأصنام التي لا تملك القيومية، فضلًا عن القيام بذاتها، فلا هي قيِّمة على غيرها ولا قائمة بذاتها، قال الطبري: يقول تعالى ذكره: أفَالرَّبُ الذي هو دائمٌ لا يَبيدُ ولا يَهْلِك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخَلْق، متضمنٌ لها، عالمٌ بهم وبما يكسبُونه من الأعمال، رقيبٌ عليهم، لا يَعْزُب عنه شيء أينما كانوا، كَمن هو هالكٌ بائِدٌ لا يَسمَع ولا يُبصر ولا يفهم شيئًا، ولا يدفع عن نفسه ولا عَمَّن يعبده ضُرًّا، ولا يَجْلب إليهما نفعًا؟ كلاهما سَواءٌ؟ وحذَف الجواب في ذلك فلم يَقُل، (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت): ككذا وكذا، اكتفاءً بعلم السامع بما ذَكَر عما ترك ذِكْره؛ وذلك أنه لما قال -جل ثناؤه-: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾، عُلِمَ أن معنى الكلام: كشركائهم التي اتخذوها آلهةً. (١)

قال الرازي: "... التقدير: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت،كمن ليس بهذه الصفة، وهي الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وهذا الجواب مُضْمَر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾، والتقدير: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كشركائهم التي لا تضر ولا تنفع، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، وما جاء جوابه، لأنه مضمر في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، فكذا ههنا". (٢)

❁ المبحث الثاني: المقابلات المتعلقة بالرسالة:

أولًا: الرد على طلب الكفار للآيات، بالمقارنة بين من أضله الله ومن هداه:

من مقاصد السورة الكريمة تقرير الرسالة، والرد على شُبه المنكرين، ومن ثَمَّ تكرر فيها ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾، عرضًا لقولهم وردًّا عليه.

(١) تفسير الطبري (١٦ / ٤٦٢).
(٢) تفسير الرازي (١٩ / ٤٥).

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

- والمقابلة هنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾، وبين ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾.

ومن بلاغة هذه المقابلة:

☜ تقديم الهداية على الضلال، تعظيمًا لشأنها؛ ولأنها هي المقصودة والمنشودة.

☜ الاحتباك: [1] حيث ذكر هنا ما لم يذكره هناك، أنَّ من أضله الله ليس من أهل الإنابة، وأن من هداه الله فبمشيئته تعالى. "ويهدي إلى دينه وطاعته من رجع إليه بقلبه". [2]

☜ وفيه تعريض بالكفار بأنهم غير منيبين لله، ولو كانوا كذلك لاستحقوا الهداية ونالوها.

☜ والتعبير بالفعل الماضي {أناب}، لبيان تحقق هذا الأمر وتأكيده، وأفاد المضارع {يشاء} معنى الدوام.

☜ وإلحاق {إليه} لتضمين الفعل معنى يسوق، أي يسوق إليه، وفيه مزيد اعتناء بمن اختار الله هدايته.

قال أبو السعود: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾.

أي: أقبل إلى الحق، وتأمَّل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة. وحقيقة الإنابة الدخول في نوبة الخير، وإيثار إيرادها في الصلة على إيراد

(١) الاحتباك: كما عرفه البقاعي بقوله: "هو: أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازًا، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر.". نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ت ٨٨٥ هـ ٤/ ٢٦٣.

(٢) تفسير القرطبي، (٩/ ٣١٥).

المشيئة، كما في الصلة الأولى؛ للتنبيه على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئتها، والإشعار بما دعا إلى المشيئة الأولى وهي: المكابَرة. وإيثار صيغة الماضي للإيماء إلى استدعاء الهداية لسابقة الإنابة، كما أن إيثار صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على استمرار المشيئة؛ حسب استمرار مكابرتهم. (١)

ويستفاد من هذه المقابلة: أن الهداية لا تكون إلا لمن قصدها، وسلك طريقها، وسعى إليها بحرص وتجرُّد وقصد للحق، كما يشهد بذلك الماضي والحاضر. "وفيه حثٌّ للكفرة على الإقلاع عما هم عليه من العُتُوّ والعناد." (٢)

ثانيًا: المقابلة بين من آمن بالقرآن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴾ [الرعد: ٣٦].

المقابلة هنا بين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾، وبين ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥ﴾.

- وفيها من بلاغة الإيجاز؛ حيث ذكر هنا ما لم يذكره هناك، ففَرَحُ الذين أوتوا الكتاب يدل على إقرارهم وتصديقهم به، وإنكار المتحزبين دليل على عدم فرحهم به، ولكن الفرح درجة أعلى من مجرد التصديق، وهذا من بديع الاحتباك.
- لم ترد عبارة {آتيناهم الكتاب} إلا في مقام المدح، ولم ترد كلمة الأحزاب إلا في مقام الذم.
- المقابلة بين {والذين آتيناهم الكتاب}، وبين {ومن الأحزاب}؛ إشارة لتحزبهم البغيض على موافقة الباطل ومعاداة الحق.

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥/ ١٤).
(٢) المرجع السابق، (٥/ ١٤).

❑ والتعبير بالفعل المضارع {يفرحون}؛ يدل على دوام فرحهم بدوام تلاوتهم لكتاب الله تعالى.

❑ دقة التعبير القرآني في ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ حيث التعميم، يفرحون بكل ما أنزل إليك دون استثناء، فكل ما جاء به القرآن مما يُبهج نفوس المؤمنين، ويسرُّ قلوب الصادقين، والتبعيض في ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ من باب الدقة والإنصاف، فلربما كان من بين أولئك الأحزاب من يسلِّم بالقرآن لا ينكره، كذلك الإنكار ليس متوجِّهًا لكل ما جاء به القرآن، بل لبعض ما جاء به، إذ أن هناك قدرًا مشتركا بين القرآن وبين الكتب التي بين أيديهم، وفيها بقية من الحق، كالبشارات وغيرها.

ثالثًا: وعود الله للنبي ﷺ، والرد على استعجال الكفار للعذاب.

قال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

والمقابلة هنا بين ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾، وبين ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، ولم يقل وإن ما نُرِيَنَّكَ أو لا نُرِيَنَّكَ، حتى لا يُتَوَهَّم عدم تحقق هذا الوعد، فقد لا يتحقق وعد الله في عصرنا، فلا يتشبث إنسان بهذا، بل يجعل همه في أداء واجبه، وغرس الخير، دون انتظار جني الثمار.

١- وفي الآية دعوة للصبر والثبات على الحق، مع بعث الأمل في النفوس. قال الزمخشري: "وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم، أو توفَّيناك قبل ذلك، فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب، وعلينا -لا عليك- حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم، فلا يهمنَّك إعراضهم، ولا تستعجل بعذابهم[1]. وقال الرازي: "... سواء أريناك ذلك

(١) الكشاف (٢ / ٥٠٢).

أو توفيناك قبل ظهوره؛ فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء أمانته ورسالته وعلينا الحساب [١]. وقال الشوكاني: "وهذا تسلية من الله سبحانه لرسوله ﷺ، وإخبار له أنه قد فعل ما أمره الله به، وليس عليه غيره، وأنَّ من لم يُجِب دعوتَه، ويُصدِّق نبوتَه فالله سبحانه محاسبه على ما اجترم واجترأ عليه من ذلك". [٢]

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: "إننا نحيا في ضوء إيمان قدمه لنا سلف صالح، فلماذا نستكثر أن تحيا الأخلاف المقبلة في ضوء ما نقدم من كفاح؟ وأن يطوينا الليل لتنعم هي بتباشير الصباح؟ لعل ذلك الذي نقرره هو سر الأمر الحاسم في قول الله لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴾ [غافر: ٧٧]، على المجاهدين المسلمين أن يعملوا، ولذتهم ليست اقتطاف الثمر العاجل، وإنما لذتهم في الشعور بتوفيق الله والأمل في رضاه" [٣].

والمقابلة بين ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ﴾، وبين ﴿ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾. أفادت أن مهمة النبي ﷺ محصورة في البلاغ، أما الحساب والنتائج فهي على الله تعالى، وفيها تثبيتٌ لنبينا ﷺ، ووعيدٌ للكفار بأن الله تعالى لن يهملهم؛ بل سيحاسبون مهما طال بهم الأمدُ.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٤١، ٤٢].

(١) تفسير الرازي (١٩ / ٥٣).
(٢) فتح القدير، للشوكاني (٣ / ١٢٩).
(٣) فتح القدير، للشوكاني (٣ / ١٢٩).

۞ المبحث الثالث: المقابلات المتعلقة بالبعث والجزاء:

➢ أولًا: المقابلة بين جزاء من استجاب وجزاء من لم يستجب:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨]. قابَلَ بين الوعد والوعيد، بين جزاء من استجاب، وجزاء من لم يستجب، والحسنى هي الجنة، لأنها بلغت المنتهى في الحسن والإبداع والإتقان، كما قال تعالى مخبرًا عن ذي القرنين أنه قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ويقابلها النار، وهي السوأى، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وإنما جاءت المقابلة هنا على غير مقتضى الظاهر؛ مبالغة وإمعانًا في بيان سوء عاقبتهم، وترهيبًا من النار التي يودّ الكافر أن يفتدي نفسه بكل ما يملك، ولو كان له أضعاف ما في الأرض لافتدى به، ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾، بل لو استطاع أن يفتدي بأعز الناس عليه؛ بنيه وزوجته وأخيه وعشيرته، بل وجميع مَن في الأرض لينجو لفعل، قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج: ١١ - ١٥]. وعلى فرض تمكنه من ذلك الأمر المستحيل، فهل لو فعل يُقبَل منه؟ الجواب، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٦]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٩١].

وبينما يود الكافر لو يفتدي من هذا العذاب، فإن المؤمن يُسرُّ ويرضى ويهنأ بدخوله الجنة.

ففي هذه المقابلة: مبالغة في تهويل شأن من لم يستجب، قال أبو السعود: "وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان" (١).

وفي تقديم المسند ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ﴾، على المسند إليه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾: اعتناء بالمقدم وتشويق للمؤخر.

ويستفاد من هذه المقابلة:

١- أن الجنة هي غاية الحسن؛ فلا دار أجمل منها ولا أبهى.

٢- يلقى أهل الجنة فيها من الحفاوة والتكريم والبشارات والمسرَّات ما يلقونه بصبرهم في الدنيا.

٣- هول عذاب الآخرة وشدته، حتى يتمنى الكافر أن يفتدي نفسه بأي ثمن، ولكن لا خلاص له.

➢ ثانيًا: المقابلة بين من يعلم أن القرآن حقٌّ ومن لا يعلم:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥ / ١٥).

وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٥].

هنا مقابلة بين من يعلم ويبصر، ومن لا يعلم ولا يبصر، بين من يعلم ويبصر، وبين من يجهل ويعمى، نلاحظ أنه لم يقابل بين من يعلم وبين من يجهل، بل قابل بين العلم والعمى، فالعلم بصيرة وضياء، والجهل عمى وظلام، ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ فذكر هنا ما لم يذكره هناك والعكس، أفمن يبصر ويعلم، كمن يعمى ويجهل، فدل كلٌّ على ما يقابله، كذلك لم تأتِ المقابلة على مقتضى الظاهر {أفمن يعلم كمن لا يعلم}، بل قال: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ بيانًا لتعاميه عن الحق، والعمى هنا عمى القلب. وفيه دلالة على أن الحق واضح أبلج، وضوح النهار لكل مبصر. وفيه من فنون البلاغة: الاحتباك، حيث دل ما ذكره هنا على ما حذفه هناك والعكس.

والمعنى: أيستوي حال من يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق الذي لا شك فيه، بحال من لا يعلم؟ بل هو في عمى عن الحق لا يبصره، ولو أبصره لا يسلم به، أو ينقاد له!.

وجاءت الجملة الأولى فعلية، لما يفيده التعبير بالمضارع من تصوير حيٍّ، وكذلك للتجدد والدوام، فالعلم متجدد، قابل للزيادة، بينما جاءت الجملة الثانية اسمية لبيان اللزوم، فالعمى ملازم له، وللتأكيد أيضًا، وحذف متعلق العمى للتعميم، فهو أعمى في كل شيء، أو اكتفاءً بما ذكر في الجملة الأولى، أي كمن هو أعمى عن الحق.

ومن بلاغة المقابلة؛ مجيئها بصيغة السؤال الذي يلفت الأنظار، ويقرر المعنى.

◆ **وهنا سؤالٌ: لماذا لم ينفِ عن الكفار كل ما أثبته للمؤمنين من الأعمال الصالحة كما هي حالهم؟** قال أبو السعود: "وإنما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحًا لدلالة النقض والقطع على ذلك، وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور؛ فلأنه إنما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقعن معتدًا بهن، فلا وجه لنفيه عمَّن بينه وبين الحسنات بُعْدَ المشرقين، كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة ممن لا يحوم حول أصل الإيمان بالله تعالى فضلًا عن فروع الشرائع، وإن أريد بالإنفاق التطوع، فنفيه مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى بوصله، وأما درء السيئة بالحسنة، فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق، فإن مَنْ يجازي إحسانَه ﷻ بنقض العهد ومخالفةِ الأمر ويباشر الفسادَ؛ كيف يُتَصوَّر منه مجازاة الإساءة بالإحسان! [(١)].

➢ **ثالثًا: المقابلة بين عقبى المتقين وعقب الكافرين:**

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

- بين الله تعالى صفة الجنة العظيمة التي وعدها عباده المتقين، تتخللها الأنهار، فتزيدها حُسْنًا وبهاءً، وتزيد أهلها نعمة وبهجة ورواءً، أكلها من الثمار وغيرها لا ينقطع، وظلها كذلك، تلك العاقبة العظيمة عقبى الذين اتقوا ربهم فامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وعاقبة الكافرين النار بكفرهم وعصيانهم، ولا وجه للمقارنة بين الدارين.

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥ / ١٨).

والمقابلة هنا بين جملتين في ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾، ويلاحظ التعبير بالاسم الموصول وصلته ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾، بينما الجملة الثانية جاء إسناد عُقْبَى إلى الاسم، لبيان توغلهم في الكفر، وملازمتهم له.

ومقابلة المتقين بالكافرين، والكفر يقابله الإيمان، لبيان استحقاقهم للجنات بتقواهم فضلًا عن إيمانهم.

الخاتمة

أولًا: نتائج:

١- عدد آيات السورة ٤٣ آية، والآيات المشتملة على مقابلات ١٤ آية، أي قرابة ربع السورة. وفي هذا ما يدل على أن هذا الأسلوب البياني البديع مما تميزت به هذه السورة.

٢- جميع المقابلات في السورة تدور حول أركانها الثلاثة: الإيمان بالله، الإيمان بالبعث، الإيمان بالرسالة، التوحيد والبعث والرسالة -العقيدة الإسلامية-، مع ما جاء في السورة من تثبيت للنبي ﷺ وللمؤمنين، وتسلية لقلوبهم، مع زلزلة قلوب المكذبين.

٣- كثرة المقابلات في السورة، وتنوع مقاصدها، تجليةً للحقائق، وتقريرًا للأصول الثلاثة التي عليها مدار السورة: التوحيد والرسالة والبعث، وتفريقًا بين المتقابلات والمتضادات.

٤- أغلب المقابلات الواردة في السورة حول قضية التوحيد؛ لأنها القضية الأساسية في القرآن الكريم والأصل الأول، ثم المقابلات المتعلقة بالرسالة، ثم بالبعث والجزاء.

٥- جاءت مقابلات السورة في تقرير حقائق ووعود ربانية، وفي ترسيخ مفاهيم، وتفنيد شبه الكفار وأباطيلهم، والرد على مطالبهم.

٦- التداخل بين أغراض المقابلة؛ فقد تجمع المقابلة بين تقرير أكثر من أصلٍ.

٧- أغلب المقابلات في السورة جاءت على خلاف مقتضى الظاهر؛ لما في ذلك من فوائد ونكاتٍ.

٨- من أساليب المقابلة في السورة: حذف إحدى جملتَي المقابلة اكتفاءً بدلالة الأخرى عليها.

٩- اشتمال كتب التفسير على درر ونفائس متعلقة ببلاغة القرآن، تكشف عن جماله وجلاله، وتبرز مقاصده وتُجَلِّي معانيه.

۞ ثانيًا: توصيات:

١- دراسة المقابلات في سور أخرى، لإبراز جمال الأسلوب القرآني وإعجازه.

٢- دراسة ما تميزت به كل سورة قرآنية من وجوه وأساليب بلاغية.

٣- تقرير مادة البلاغة القرآنية على طلاب قسم التفسير وعلوم القرآن في مرحلة الإجازة، ومرحلة التخصص الماجستير.

٤- بلاغة القرآن بحرٌ لا ساحل له، فأقترح تحفيز الطلاب على تسجيل رسائل علمية، فيها.

٥- أقترح جمع موسوعة بلاغية للقرآن، على أيدي متخصصين في التفسير لهم عناية ببلاغة القرآن، مع الاستفادة من المتخصصين في البلاغة العربية عموما.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين

.....

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. جلال الدين السيوطي (ت٩١١). الإتقان في علوم القرآن. ط البابي الحلبي، ١٣٧٠ هـ.

٣. أبو السعود الحنفي، محمد بن محمد مصطفى العمادي (ت ٩٨٢ هـ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ط دار الفكر، (د. ت).

٤. د عبد المنعم القيعي. الأصلان في علوم القرآن. ط٤، كلية أصول الدين بالقاهرة، ١٤١٧هـ.

٥. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت ١٣٩٣هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبد العزيز آل سعود، ١٤٠٣هـ.

٦. إسماعيل باشا البغدادي. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. مؤسسة التاريخ العربي.

٧. جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩ هـ). الإيضاح في علوم البلاغة. ط دار الكتاب المصري.

٨. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. البحر المحيط. بيروت: دار الفكر.

٩. الشوكاني. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. بيروت: دار المعرفة.

١٠. بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤ هـ). البرهان في علوم القرآن. دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ.

١١. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. سوريا: دار القلم.

١٢. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦). تأويل مشكل القرآن. دار التراث.

١٣. ابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر. ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٤. الإمام المفسر ابن جزي الكلبي الغرناطي، محمد بن أحمد (ت ٧٩٢ هـ). التسهيل لعلوم التنزيل.

١٥. السيد محمد شيد رضا. تفسير القرآن الحكيم. المشتهر باسم تفسير المنار. ط٢، دار المنار، سنة ١٣٧٢هـ.

١٦. الإمام ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ). تفسير القرآن العظيم. ط دار التراث العربي، (د. ت).

١٧. ابن أبي حاتم، لإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ). تفسير القرآن العظيم. ط مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ١٤١٩هـ.

١٨. فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). ط دار الفكر، ١٤٠٥ هـ.

١٩. السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦ هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٢٠. الطبري، الإمام أبى جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. القاهرة: ط دار الحديث، ١٤٠٧ هـ.

٢١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٢٢. الحموي، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧). خزانة الأدب وغاية الأرب. بيروت: دار صادر.

٢٣. القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري. دستور العلماء، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ.

٢٤. ديوان المتنبي. تصحيح مصطفى السَّقَّا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبى، ١٣٧٦هـم.

٢٥. جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. بيروت: دار الفكر ١٤٠٣هـ.

٢٦. محمد الغزالي. الدعوة الإسلامية تستقبل عامها الخامس عشر. ط١، دار نهضة مصر.

٢٧. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ). سنن ابن ماجة. القاهرة: دار الحديث.

٢٨. سليمان بن شعث السجستاني (ت ٢٥٧هـ). سنن أبي داود. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٩. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧ هـ). سنن الترمذي. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ.

٣٠. أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت:٢٢٧هـ). سنن سعيد بن منصور. تحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد. الطبعة الأولى، الرياض: دار العصيمي، ١٤١٤هـ.

٣١. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي(ت ١٠٨٩هـ). شذرات الذهب. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط. دمشق: دار بن كثير ١٤٠٦هـ.

٣٢. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦). صحيح البخاري. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٣. الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١ هـ). صحيح مسلم. دار إحياء الكتب العربية.

٣٤. أبو هلال العسكري، حسن بن عبد الله (ت ٣٩٥). الصناعتين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١ هـ.

٣٥. السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو. الطبعة ٢، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ.

٣٦. العلوي اليمني، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون.

٣٧. عائشة راغب الجراح. عبد الرحمن حبنكه الميداني، زوجي كما عرفته. ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٢هـ.

٣٨. عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ). علم المعاني. الطبعة الأولى، لبنان، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ.

٣٩. الشوكاني، الإمام محمد بن على بن محمد (ت ١٢٥٥هـ). فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير. الطبعة الأولى، البابي الحلبى، ١٣٥٠هـ.

٤٠. الزمخشري المعتزلي، محمود بن عمر (ت ٥٢٨هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الطبعة الثالثة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.

٤١. أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني. الكليات. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٢. ابـن منظـور، جمـال الدين أبى الفضـل محمد بن مكـرم بن على بن أحمـد بن أبى القاسم (٧١١ هـ). لسان العرب. ط دار المعارف، (د. ت).

٤٣. أبو الفتح الموصلي، ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم. المثل السـائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٥.

٤٤. أبـو عبيدة البصري، معمر بـن المثنى التيمى (ت: ٢٠٩هـ). مجـاز القرآن. تحقيق: محمد فواد سزگين. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١ هـ.

٤٥. الهيثمـي، نـور الديـن علي بن أبي بكـر (٨٠٧ هـ). مجمـع الزوائد ومنبـع الفوائد. بيروت: ط دار الكتاب العربي ١٤٠٢هـ.

٤٦. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ). مجموع فتاوى ابن تيمية. ط الرياض.

٤٧. ابن عطية الأندلسـي، القاضي عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٦ هـ). المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز. المغرب، فاس: ط المجمع العلمي، ١٣٩٥ هـ؛ بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٨. الحاكم، الإمام أبو عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ). المستدرك على الصحيحين. وفى ذيله تلخيص المستدرك للإمام شمس الدين الذهبي (ت ٨٤٨ هـ).

٤٩. مسـند الإمام أحمد بن حنبـل. المكتب الإسـلامي، (د.ت)؛ دار المعارف، تحقيق أحمد شاكر ١٩٥٧م؛ القاهرة: مؤسسة قرطبة، بتعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٥٠. أبـو الفتح العباسـي (ت: ٩٦٣هـ). معاهـد التنصيص على شـواهد التلخيص. ٢/ ٢١٠، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: عالم الكتب.

٥١. الطبراني. المعجم الكبير. ط٢، دار البيان العربي، (د.ت).

٥٢. السـكاكي، أبو يعقوب يوسـف بـن أبي بكـر (ت٦٢٦ هـ). مفتاح العلـوم. بيروت: المكتبة العلمية الجديدة.

٥٣. القرطاجي، حازم بن محمد بن حسن بن حازم (ت ٦٨٤). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ط دار الغرب الإسلامي.

٥٤. أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي. الناسخ والمنسوخ. تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد. الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ.

٥٥. برهان الدين البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت ٨٨٥هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ط٢، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ.

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ٢٧

المقدمة ٢٩

الفصل الأول: الدراسة النظرية لأسلوب المقابلة ٣٦

المبحث الأول: تعريف المقابلة، والفرق بينها وبين الطباق ٣٦

المطلب الأول: تعريف المقابلة ٣٦

المطلب الثاني: الفرق بينها وبين الطباق ٣٧

المبحث الثاني: فوائد المقابلات في القرآن..... ٤٢

المبحث الثالث: أنواع المقابلات في القرآن ٤٥

المطلب الأول: من حيث العلاقة بين المعاني المتقابلة ٤٥

المطلب الثاني: من حيث مقتضى الظاهر وخلافه ٤٦

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية لأسلوب المقابلة في سورة الرعد ٤٩

المبحث الأول: المقابلات المتعلقة بالتوحيد ٥٠

المبحث الثاني: المقابلات المتعلقة بالرسالة ٥٧

المبحث الثالث: المقابلات المتعلقة بالبعث والجزاء ٦٢

الخاتمة ٦٧

المصادر والمراجع ٦٩

فهرس الموضوعات ٧٥

TADABBUR MAGAZINE

Periodical, Scientitic and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Number6; Ragab 1440 AH, corresponding to March 2019

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Contraries method in Surah Ar-Ra'd.**
  An analytical study
  By: Prof. Dr. Ahmed M. Al Shargawi
- **The implication of the Qur'anic context and its impact on directing verses' meaning through the book "Rhetorical Exegesis of the Holy Qur'an" by Prof. Aisha Abd al-Rahman (Bint al-Shati').**
  By: Mr. Ahmed Ba'zid Bara'ak Allah
- **Quran's protection of intellectual awareness among youth Under the challenges of modern means of communication**
  By: Prof. Mohammed Abdel-Deim Al Sulimani Al-Tuni
- **The implications and purposes of the term (Gladness) in the Holy Quran.**
  (Applied research)
  By: Mrs. Basma A. Matran
- **Verbs of creation and existing and their implications in the Holy Quran**
  By: Dr. Al Amer M. Abu Aisha
- *A report on a scientific thesis entitled:*
  Proficiencies of contemplation of Holy Quran among teachers of Quran in the preparatory level and challenges of their use.
  By: Khalid I I Al-Sahimi
- **A report on Maknon Institute for female teachers of Quran "Tadabbur"**
- **A report on the 8th Annual International Qur'anic Conference. (Maqdes 8)**
  With the slogan: "Gratifying humans with the light of Quran"

25 SR